تصورات غربية للشخصية المسلمة

أ. بشير عبد الفتاح

(باحث سياسي وصحفي بجريدة الأهرام)

ملخص البحث

أفضى فشل الغرب الذريع في التخلص مما اعتبره تهديدًا أو خطرًا إسلاميًا على مدى قرون مضت إلى ابتكار استراتيجيات وآليات جديدة للحرب ضد الإسلام والمسلمين فسعى لتشويه الدين الإسلامي ذاته، والنَّيْل من ثبات المسلمين على عقيدتهم عبر حرب فكرية ضروس مدعومة بآلة إعلامية جبارة ترتكز على أسس صلبة من الدعم العسكري والاقتصادي غير المحدود.

وكان لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، دور بارز في إعادة تشكيل ملامح وأدوات الحرب الغربية ضد الإسلام، الذي يشكل ممانعة حضارية تُصَعِّب عملية احتواء الأمة الإسلامية ضمن مخطط الهيمنة الغربي.

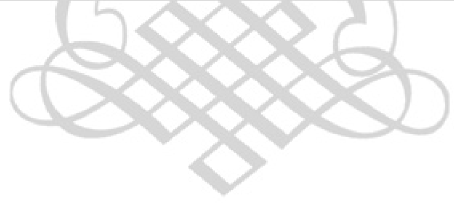
ومن أجل تنفيذ استراتيجيته الرامية إلى تغيير الإسلام والمسلمين تبنى الغرب آليات عديدة، ومن أبرزها العمل على إحلال القيم الغربية محل القيم الإسلامية، والاعتماد على عناصر مسلمة تقيم في الغرب للترويج لقيمه وأفكاره، أو تجنيد عناصر مسلمة موجودة في البلاد العربية والإسلامية، إضافة إلى دعم التوجهات والمنظمات الإلحادية.

كما انطلقت الدعوة الغربية لتجديد الخطاب الديني الإسلامي بجانب تحرك غربي جارف لفرض ما أُسمي بالإصلاح أو التطوير الديني على المسلمين والإسلام كوسيلة مزعومة لعلاج التطرف والإرهاب، ولأهمية المؤسسات الدينية الإسلامية كرافد من روافد تعليم الأمة وتوجيهها دينيًا فقد سعى الغرب إلى النيْل منها.

كما عمل الغرب على وضع مخطط للنيل من مصداقية وأهمية الحديث النبوي الشريف، وتخويف العالم من الإسلام؛ حتى يصبح المسلمون محاصرين بضغوط فكرية ونفسية هائلة.

بيد أن الطريق ليس ممهدًا أمام هذه المخططات التي تعاني من نقاط ضعف عديدة، وقد ظهرت بالفعل دلائل عدة على فشل الحرب الأمريكية الغربية ضد الإسلام والمسلمين.

ولا يعني تعثر أو فشل الحرب الفكرية الغربية ضد الإسلام والمسلمين أن يقف العالم الإسلامي مكتوف الأيدي، وإنما يتعين على المسلمين عدم التقاعس عن الصمود والمواجهة، وثمة وسائل عديدة يمكن من خلالها التصدي للمخطط الغربي الرامي لتغيير الإسلام من خلال حرب الأفكار، يتجلى أبرزها في تبني استراتيجية ثلاثية الأبعاد، يضطلع خلالها الفرد المسلم، والحكومات المسلمة، والمسلمون في بلاد الغرب كلٌّ بدوره.



أفكار ومقتطفات

- أفضى فشل الغرب الذريع في التخلص مما اعتبره تهديدًا أو خطرًا إسلاميًّا على مدى قرون مضت، برغم ما لديه من أسباب القوة المادية، الصلبة منها والناعمة، إلى أن تبتكر العقول الموجهة لحرب الغرب ضد الإسلام والمسلمين استراتيجيات وآليات جديدة في تلك الحرب؛ عساها تنجح في تحقيق ما عجزت عن تحقيقه صور القوة التقليدية.

- بقدر لا بأس به من الثقة يمكن القول: إن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية، كان لها دور بارز في إعادة تشكيل ملامح وأدوات حرب الغرب بقيادة الولايات المتحدة ضد الإسلام والمسلمين، بحيث أعادت إلى صدارتها مجددًا، الآليات الحضارية والفكرية فيما يمكن أن يسمى بـ «حرب الأفكار»، توخيًّا لتغييرهم وتطويعهم بما يتماشى ومصالح الغرب وتوجهاته.

- يبرر المعسكر الغربي حربه الفكرية ضد الإسلام والمسلمين بذريعة معلنة مؤداها أن مبادئ الإسلام باتت بيئة مواتية لتخريج الإرهابيين والمتطرفين الذين يشكلون خطرًا على أمن العالم، ويهددون استمرار الحضارة الإنسانية، التي يسهم فيها الغرب بقسط وافر.

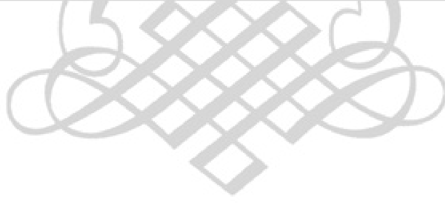
- عكفت المراكز الفكرية الغربية المهتمة بشئون الإسلام والمسلمين على تقديم الدراسات والتوصيات لحكومات أوروبا والإدارة الأمريكية بغرض توجيه المعركة الفكرية مع العالم الإسلامي.

- أسفر شعور الغرب بالتميز والاستعلاء على باقي البشر عن اعتقاد بأن قيمه هي الأقدر على تحقيق تقدم البشرية واستقرارها، وحماية العالم من الإرهاب وقوى الشر، الأمر الذي عزز فكرة المركزية الأوروبية، ودفع الولايات المتحدة وأوروبا إلى إضفاء مسحة من الكونية والإلزام الدولي على قيمهم عن طريق العولمة والاتفاقيات الدولية الملزمة.

- وضعت الإدارة الأمريكية منهاجًا وخططًا للإسلام العادي أو التقليدي، وذهب البعض إلى تسميته «الإسلام الروحي»، وألحقت هذه الخطط بجملة من النصوص والوثائق والبرامج العملية المتنوعة فيها حذف لكثير من الأحكام الإسلامية الخاصة بالجهاد وأحكام القتال، وما يتعلق بالكراهية ضد المشركين واليهود وأحكام أهل الذمة.

- يُظهر دعم الغرب للملحدين والمرتدين من المسلمين تناقضًا فجًّا في التعاطي الغربي مع الإسلام والمسلمين، ففي الوقت الذي يضطهدهم ويقيد حرياتهم ولا يعترف بهم لا لشيء سوى أنهم مسلمون، تجده يقدم الدعم والمساندة والحماية للمرتدين من المسلمين أو من يهاجمون الإسلام والمسلمين، ويستخدمهم كحراب يقاتل بها الإسلام والمسلمين، وذلك بذريعة حرية العقيدة وحرية التعبير، وبزعم تحديث الإسلام وعصرنته.

- انطلقت الدعوة الغربية لتجديد الخطاب الديني الإسلامي لتكون الذراع الداخلي للتحرك الخارجي ضد الإسلام والمسلمين، ومن هنا جاء غموضها وإبهامها وعدم وضوحها المتعمد.



- تأتـي الهجمـة على نظام التعليم الديني الإسـلامي بمناهجه ومحتواه وأهدافه ضمن اسـتراتيجية الغرب لتغيير عقل المسـلمين، وبنية الإسـلام نفسـه باعتبار ذلك النظام الوسيلة التي يتواصل بها الديـن، وينتقـل عبر الأجيال، والأداة التي توجِّه الدعوة الإسـلامية، وترسِّـخ لهذا الدين في بنية المجتمعات الثقافية والفكرية والشعورية.

- يجـري الآن في عـدد من الدول الإسـلامية تدريب الأئمـة والخطباء ورجال الديـن على الاعتدال والتسامح حيال الغرب ضمن مشروع غربي أُعِدَّ لهذا الغرض.

- لما كانت محاولات تشويه القرآن الكريم وتحريفه والطعن فيه لا تلقى استجابة لدى غالبية المسلمين؛ بسـبب الإيمـان القاطع لدى كل مسـلم بأن مُنَزِّل الكتاب قد تكفَّـل بحفظه، فقد عمد المخطط الغربي إلى التركيز على المناوشـة حول تفسـير بعض الآيات؛ ولما لم يجد ذلك محقِّقًا لأهدافه فقد عـرج إلى وضع مخطـط للنيل من مصداقية وأهمية الحديث النبوي الشـريف، معتمدًا في ذلك على الأميَّة المتفشية في أوساط المسلمين وعدم وعي الكثير من المسلمين بقضايا الحديث النبوي.

- انتشـرت «فوبيا» الإسـلام أو جنـون الخطر الأخضر، أو إرهاب الإسـلام أو الفزع من المسـلمين وكرههـم في الولايـات المتحدة وأوروبـا منذ عقدين من الزمان؛ حيث أسـهمت وسـائل الإعلام الغربية عن قصد في تأجيج مشـاعر التوجس عند الغربيين بأن الإسـلام السـني لا يسـتطيع أن يتعايـش مع غيره من الأديـان والثقافات، وركزت آلة الدعاية الغربية على تصوير الإسـلام بأنه دين متحجر ويتسم بالوحشية والقسوة.

- هناك دوائر غربية رسمية ودينية تفتعل «الإسلاموفوبيا» وتغذيها بغية استثمارها سياسيًّا. فالخوف المرضي من الإسلام لم يعد مجرّد خوف تلقائي لأسباب تاريخية وثقافية، بل أصبح يُصنع صنعًا، ليُستخدم في تحقيق أغراض محددة.

- بالرغم من التدبير المحكم والدقيق والمكلف، الذي يحيط باستراتيجيات حرب الأفكار الغربية ضد الإسلام والمسلمين، إلا أنها تعاني من نقاط ضعف عديدة ربما تُقَلِّص من فرص نجاحها.

- يجـدر بالدول الإسـلامية مجتمعـة العمل من أجل حماية أطـراف الأمة الإسـلامية ودعمها دينيًّا واقتصاديًّا بالتزامن مع حماية مركزها، لاسـيما أن الأطراف سـتكون الهدف المقبل للمخطط الغربي، كما أن حماية الأطراف هي حماية للمركز.

- إن حرب الأفكار الغربية ضد الإسـلام والمسـلمين قد أحيت الغيرة والحمية لدى الأمة، وأصبح عامـة المسـلمين يتطلعـون إلى الذود عن دينهم، غير أن أي تحرك إسـلامي على هذا الدرب يجب أن يبنى على «فقه النصرة»؛ حتى لا تصبح نصرة الإسـلام مجرد شـعار عاطفي، أو دثار خارجي لا تأثير له في الواقع، أو ردة فعل متهورة تضر بالإسـلام والمسـلمين، وهنا يبرز دور العلماء وروّاد الصحوة وصناع التغيير في الأمة لترشيد الرؤى وتنوير الطريق.

تصورات غربية للشخصية المسلمة

أ. بشير عبد الفتاح : باحث سياسي وصحفي بجريدة الأهرام

أفضى فشل الغرب الذريع في التخلص مما اعتبره تهديدًا أو خطرًا إسلاميًا على مدى قرون مضت، برغم ما لديه من أسباب القوة المادية، الصلبة منها والناعمة، إلى أن تبتكر العقول الموجّهة لحرب الغرب ضد الإسلام والمسلمين استراتيجيات وآليات جديدة في تلك الحرب؛ عساها تنجح في تحقيق ما عجزت عن تحقيقه صور القوة التقليدية، فكان الجنوح باتجاه تشويه الدين الإسلامي ذاته، والنَّيْل من ثبات المسلمين على عقيدتهم، وتمسكهم بوحدتهم؛ من خلال تغيير الإسلام والمسلمين في آنٍ، عبر حرب فكرية ضروس مدعومة بآلة إعلامية جبارة ترتكز على أسس صلبة من الدعم العسكري والاقتصادي غير المحدود.

أولاً: حرب الأفكار:

بقدر لا بأس به من الثقة يمكن القول: إن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية، كان لها دور بارز في إعادة تشكيل ملامح وأدوات حرب الغرب بقيادة الولايات المتحدة ضد الإسلام والمسلمين، بحيث أعادت إلى صدارتها مجددًا، الآليات الحضارية والفكرية فيما يمكن أن يسمى بـ «حرب الأفكار»، توخيًا لتغييرهم وتطويعهم بما يتماشى ومصالح الغرب وتوجهاته. فإذا كان الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون قد أكد في سبعينيات القرن المنصرم «أنّ مفتاح نجاح السياسة الأمريكية حيال العالم الإسلامي يكمن في التعاون الاستراتيجي مع المسلمين التقدّميين فقط»، فقد أعلن الرئيس بوش قبل خمس سنوات «أن بلاده تحارب في جبهات مختلفة: عسكرية واقتصادية، وسياسية وفكرية»، وبدوره وضع دونالد رامسفيلد، وزير الدفاع السابق، أسس الحرب ضد الإرهاب، واعترف بأن «الحرب الفكرية» جزء منها، مُعْلِنًا أن بلاده تخوض حربًا فكرية مثلما تخوض حربًا عسكرية، وتؤمن إيمانًا قويًا بأن فكرها لا منافس له».

ويبرر المعسكر الغربي حربه الفكرية ضد الإسلام والمسلمين بذريعة معلنة، مؤداها أن مبادئ الإسلام باتت بيئة مواتية لتخريج الإرهابيين والمتطرفين، الذين يشكلون خطرًا على أمن العالم، ويهددون استمرار الحضارة الإنسانية، التي يسهم فيها الغرب بقسط وافر. أما الدافع غير المعلن لتلك الحرب فيكمن في أن الإسلام يشكل ممانعة حضارية تصعِّب عملية احتواء الأمة الإسلامية ضمن مخطط الهيمنة الغربي، وفي القلب منها مشاريع الأمركة.[1]

من هنا يسعى الغرب إلى اختراق الإسلام، وبثّ الفُرْقة بين المسلمين؛ بغية تقويض الإسلام «المتشدد»،

(١) جريدة الشرق الأوسط، ١/٤/٢٠٠٧م.

الـذي يـرون أنه يغذي مشـاعر العداء للغـرب، ويعزز الممانعة الإسـلامية لتغريب المسـلمين، ويفرز الإرهاب والتطرف، ويحارب الحداثة والمدنية، ودعم الإسـلام المعتدل الليبرالي، على أن يحتفظ الغرب بحق احتكار تصنيـف المسـلمين مـا بـين متطرفـين أو معتدلـين، وتحديد الأسـس التي يتم بناء عليهـا هذا التصنيف؛ كيما يتسـنى لـه التوصل إلى صيغ مختلفة لإسـلام مقبـول من قِبَلـه، ومتوافق مع مصالحه كالإسـلام «الحداثـي أو الليبرالـي»، أو«العلمانيـة المؤمنـة» أو «الإسـلام العلماني»، أو «الإسلام المعتدل»، أو كما حاول بعض الكُتّاب في الأوسـاط الإسـلامية وصفه مستعيرين تعبير سيد قطب «الإسلام الأمريكي».[٢]

وتوخيًـا منها لبلوغ ذلـك المقصد، عكفت المراكز الفكرية الغربية، المهتمة بشـئون الإسلام والمسلمين، على تقديم الدراسـات والتوصيات لحكومات أوروبا والإدارة الأمريكيـة بغرض توجيه المعركة الفكرية مـع العـالم الإسـلامي، حتـى انصبـت مخرجاتها في اتجاهـين فكريين يؤكدان على المواجهة، ولكنهما يختلفـان حول طريقـة إدارة هذه المواجهـة؛ حيث يرى الاتجـاه الأول أنه يمكن إشـراك بعض الإسـلاميين مـن المعتدلين ضمن آليات الحكـم والتأثير في العالم العربي والإسـلامي؛ بشـرط موافقتهـم الكاملة على اللعبة الديمقراطية واشـتراكهم بها، والتأكيد على التسليم بقواعد تلك اللعبة ونتائجها.

ومن المراكز الفكرية الهامة التي تتبنى هذا الاتجاه مركز كارنيجي، ومركز بروكينجز.

أمـا الاتجاه الثانـي، فيرى ضـرورة مواجهة الخطر الإسلامي من خلال تحجيم مؤسسات العمل الإسلامي، ووصمهـا بالإرهاب والتطـرف وإقصائها -ما أمكن- عـن الحياة العامة وقنوات التأثير الفكري والإعلامي، ومن أهم المراكز الفكرية التي تتبنى هذا التصور، مؤسسـة «راند»، وهي أحد أهم المؤسسـات الفكرية المؤثرة على صناعة القرار في الولايات المتحدة، خاصة فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط.[٣]

وقد أعدت ونشرت مؤسسـة «راند» خلال السنوات القليلة الماضية عددًا من التقارير تتضمن استراتيجيات مختلفـة لإدارة الصـراع مع العالم الإسـلامي، كان آخرهـا في العـام ٢٠٠٦م حـول «بنـاء شـبكات مـن المسـلمين المعتدلين». حيث تنطلق الدراسة من فرضية أساسـية مفادها: أن الصراع مع العالم الإسـلامي هو بالأسـاس «صراع أفكار»، ما يفـرض على الولايات المتحـدة توفير المسـاندة للإسـلاميين المعتدلين، من خـلال بناء شـبكات واسـعة، وتقديم الدعـم المادي والمعنـوي لهم؛ لبناء حائط صد في مواجهة الشـبكات الأصولية.

وتضـع الدراسـة «خارطـة طريق» يمكـن للولايات المتحـدة السـير عليهـا مـن أجـل خلـق أجيـال مـن الإسـلاميين المعتدلـين، يمكـن من خلالهـم مواجهة التيـارات الأصوليـة. وتوصـي بإمكانيـة الاسـتفادة في بنـاء هـذه الشـبكات من تجربـة الحـرب الباردة مع الاتحاد السـوفييتي السـابق طيلـة النصف الأخير مـن القـرن الماضي، حينمـا حاربت الولايـات المتحدة الاتحاد السـوفييتي السـابق من خلال بناء شـبكات من المتحالفين والشـركاء داخل البلدان الاشتراكية والشـيوعية، عبر اسـتخدام كافة الوسـائل بما فيها الأنشطة الخفيـة لوكالـة الاسـتخبارات المركزيـة الأمريكيـة.

وتشـير الدراسـة إلى أن نقطة البدء الرئيسة في بناء شبكات من الإسـلاميين المعتدلين تكمن في تعريف وتحديد هوية هؤلاء الإسـلاميين، اسـتنادًا إلى معايير محددة تتمثل في:

القبول بالديمقراطية الغربية، ورفض فكرة الدولة الإسلامية التي يتحكـم فيها رجال الديـن. والقبول بالمصـادر غـير المتعصبة في تشـريع القوانين، واحترام حقوق النساء والأقليات الدينية، ونبذ الإرهاب والعنف غير المشروع.

كما تقترح ثلاثة قطاعات مهمة في العالم الإسلامي قـد تمثـل نواة جيدة لبناء شـبكات من الإسـلاميين المعتدلين من أجل مواجهة المتطرفين الإسـلاميين هـي: العلمانيـون، والإسـلاميون الليبراليـون، والمعتدلـون

(٢) تم تداول تعبير «الإسلام المعتدل» و«الإسلام الليبرالي» في مصادر غربية عدة، وورد في خطابات لبول وولفويتز. كما تحدث تشارلز كورزمن عن «الإسلام الليبرالي».

(٣) د. باسم خفاجي، «استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام.. قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧»، المركز العربي للدراسات الإنسانية، ٢٠٠٧م.

التقليديون، بما فيهم المتصوفة. وتدعو الدراسة إلى التركيز على الأطراف في الصراع مع العالم الإسلامي، والبعد عن المركز لصعوبة تحقيق انتصارات حقيقية في هذه المرحلة في دول المركز، ويعنى به العالم العربي، وأن يتم عكس مسار الأفكار الحالي الذي يتحرك من المركز نحو الأطراف، بحيث ينطلق من الأطراف نحو المركز.(٤)

ثانيًا: أسلحة الغرب في حرب الأفكار:

تبنى الغرب آليات عديدة من أجل تنفيذ استراتيجيته الرامية إلى تغيير الإسلام والمسلمين ومن أبرزها:

إحلال القيم الغربية محل القيم الإسلامية:

أسفر شعور الغرب بالتميز والاستعلاء على باقي البشر عن اعتقاد بأن قيمه هي الأقدر على تحقيق تقدم البشرية واستقرارها، وحماية العالم من الإرهاب وقوى الشر، الأمر الذي عزَّز فكرة المركزية الأوروبية ودفع الولايات المتحدة وأوروبا إلى إضفاء مسحة من الكونية والإلزام الدولي على قيمهم عن طريق العولمة والاتفاقيات الدولية الملزمة كتلك التي تتمخض عن توصيات فعاليات دولية تناقش أموراً اجتماعية وثقافية وسياسية مثل مؤتمرات: السكان بالقاهرة، المرأة ببكين، والتنمية وحقوق الإنسان بكوبنهاجن وغيرها؛ لتعميم وفرض قِيَمه وأفكاره الخاصة بالمرأة والأسرة والعلاقات الثقافية والإنسانية على شعوب العالم، متجاهلاً الفوارق الحضارية والخصوصيات الثقافية لكل جماعة بشرية، خصوصًا العالم الإسلامي، الذي يرتأون أن دوله لا تزال في دائرة التخلف والرجعية حتى باتت مصدر قلق للحداثة والمدنية. وقد أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس على هذا الدور الغربي وما ينشره من قيم غربية غير قابلة للتفاوض حولها كالخطاب الحر، والعدالة المتساوية، واحترام المرأة، والتسامح الديني، ومحدودية سلطة الدولة، مُلَمِّحة إلى أنه لا يحق للعالم الإسلامي المساهمة في وضعها أو تحديد أي قيم مشتركة مع الغرب في إطار بناء العولمة على أسس التعايش السلمي والتعاون الإيجابي مع إيجاد اتفاقيات دولية ترسخ قِيَمًا إنسانية من منطلق الحضارات المتنوعة والديانات المختلفة؛ حيث إن الولايات المتحدة ترى من منظورها الحضاري والعقدي أن لها الحق وحدها في إدارة العالم، وأن تفرض على الشعوب قيمها وتصوراتها السياسية والحضارية.

أسلحة الغرب في حرب الأفكار

- إحلال القيم الغربية محل القيم الإسلامية.
- الاعتماد على عناصر مسلمة.
- مزاعم تجديد الخطاب الديني.
- ادعاء تطوير المؤسسات الدينية الإسلامية.
- الحرب على الحديث الشريف.
- تخويف العالم من الإسلام.
- التمويه على الحرب الفكرية بمبادرات إيجابية.

ويرى الغرب أن أزمة الإسلام الحالية تتشكل من مكونين أساسيين: فشل في الازدهار والنجاح، وفشل في التواصل مع الاتجاه العالمي السائد. فقد قبع العالم الإسلامي على امتداد فترات طويلة تحت ظلال التخلف والضعف، وبالرغم من خوضه تجارب كثيرة وعديدة -من القومية إلى العروبة إلى الاشتراكية إلى الثورة الإسلامية- فإنها صبَّت جميعًا في خانة الفشل الذريع؛ وهو ما أسفر عن نشوء حالات الإحباط والغضب التي وقفت سدًّا منيعًا ضد الازدهار والنجاح. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كان سقوط العالم الإسلامي من خريطة الثقافة العالمية الراهنة هو الفشل الثاني، ومن ثم أصبح هذا العالم معقلاً لتنامي الإرهاب والأفكار الرجعية والهدامة التي تهدد الحضارة الإنسانية ومنجزات الغرب. ومن ثم، فإن الشعوب المسلمة محرومة من الحريات السياسية، وتحتاج إلى من يمنحها تلك الحريات، ولهذا تضطلع

(٤) للمزيد: انظر تقارير مؤسسة راند الأمريكية الأخيرة.

الولايات المتحدة بهذا الدور، ولو اقتضى ذلك استعمال الغزو والحملات العسكرية، على غرار ما جرى في أفغانستان والعراق والسودان والصومال باسم السلام العالمي والديمقراطية والحداثة.(٥)

وقد وضعت الإدارة الأمريكية منهاجًا وخططًا للإسلام العادي أو التقليدي، وذهب البعض إلى تسميته «الإسلام الروحي»، وألحقت هذه الخطط بجملة من النصوص والوثائق والبرامج العملية المتنوعة فيها حذف لكثير من الأحكام الإسلامية الخاصة بالجهاد وأحكام القتال، وما يتعلق بكراهية المشركين واليهود، وأحكام أهل الذمة، وذهبت هذه التوصيات أو التعليمات إلى منع تحفيظ القرآن للأطفال الصغار؛ لأن ذلك يوجِّه أفكارهم، ويغسل أدمغتهم في سن مبكرة لا يقدرون، حسب زعمهم، على التمييز، وتوجيه المؤسسات التعليمية والتربوية إلى إخلاء دور الرعاية والحضانة والمراحل التدريسية الأولى للأطفال من الصفة الدينية وإضفاء طابع الحياة المدنية عليها، أو إدماج التعليم الديني في إطار ما يسمى «التربية المدنية»، حتى يتم إعادة تقديم الإسلام للمسلمين بعد تنحية الشريعة الإسلامية، وإلغاء مظاهر الوجود الإسلامي، ووضع العلماء التقليديين والمؤسسات الدينية في مواجهة الحركات الإسلامية، ومنح العلمانيين والحداثيين منابرَ إعلاميةً واسعةً، وإعطاء المناصب الدينية لأصحاب التوجهات الصوفية، ويتوازى مع ذلك موجة إباحية يتم توجيهها إلى الشباب والفتيات، هذا مع تقديم الأحاديث النبوية بقراءة جديدة، يتم من خلالها إلغاء الاعتماد على صحة ما رواه البخاري ومسلم.

الاعتماد على عناصر مسلمة:

حتى تحظى مساعي الغرب لتغيير الإسلام والمسلمين بشيء من المصداقية والتأثير لدى المسلمين، كان عليه الاستعانة بعناصر من جلدة المسلمين أنفسهم لكنهم معتدلون ومتغربون. ولما كان الغرب يعتقد في أن المسلمين الليبراليين والمعتدلين لا يملكون شبكات فعّالة كالتي أنشأها المتطرفون، فقد عمد إلى إنشاء شبكة عالمية للمسلمين المعتدلين بغية نشر الرسائل المعتدلة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ولتوفير الحماية للجماعات المعتدلة. وفي هذا السياق، تبنت واشنطن والعواصم الأوروبية عناصر مسلمة تقيم في الولايات المتحدة وأوروبا وتطلق دعوات غربية من عِنْدِيّات الغرب، كإصلاح الدين وتحرير المرأة وحرية الاعتقاد والمواريث والزواج والعلاقات الجنسية وغيرها، وبدأت بالفعل عناصر من هؤلاء تفد إلى البلاد الإسلامية أو ترسل بكتاباتها وأفكارها إلى المنابر الإعلامية والثقافية وحتى الدينية في تلك البلاد لكي تَجري محاكاة وتبني هذه الأفكار والتصورات؛ باعتبارها النموذج الأسمى للاجتهاد الإسلامي العصري، رغم أنها تلغي الإسلام بطابعها المفرط في العلمنة والتغريب.

وفي تطور موازٍ أخذ الإعلام الغربي يسلط الضوء داخل وخارج البلدان الإسلامية على مفكرين وكُتَّاب يراهم أصحاب باع في إصلاح وتحديث الإسلام، كما طالب الحكومات الغربية بدعمهم ماديًّا وسياسيًّا، حتى يمكن فرض أفكارهم على الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية في البلاد الإسلامية.

ومن أبرز العناصر التي يفسح لها الغرب المجال للقيام بتشويه الإسلام باسم التحديث والاجتهاد والتنوير:

- **آمنة ودود:** وهي أمريكية مسلمة بهائية ذات أصول إفريقية، تعمل أستاذة للدراسات الإسلامية بجامعة الكومنولث في فيرجينيا، وتدعو إلى مساواة المرأة للرجل في كل شيء حتى إمامة الرجال في الصلاة، وهي تحظى بدعم وتقدير السلطات الأمريكية. وقد أقدمت على إمامة تجمع نسائي ورجالي في صلاة الجمعة يوم ١٨ مارس ٢٠٠٦م بمبنى مجاور لكاتدرائية سان جون بمنهاتن، بدعم وحماية من السلطات الأمريكية، التي وفرت لها قاعة للصلاة داخل الكنيسة -بعد أن رفضت المساجد السماح لها بهذه البدعة- وأعانتها بالحماية والتغطية الإعلامية.

ولم يكن هذا الدعم الأمريكي لفكر آمنة ودود بالغ العلمانية والتطرف- الذي سعت إلى ترويجه عبر

(٥) استعملت «بي بي سي» تصنيفين للإسلام: الليبرالي، والتقليدي. ودعا السفير الأمريكي بإندونيسيا «رالف بويس» إلى دعم «الإسلام الليبرالي»؛ عبر إرسال الطلبة المسلمين إلى الجامعات الأمريكية «لتحييد الإسلام الراديكالي» بتخريج طلبة «إسلاميين ليبراليين».

كتبها ومحاضراتها- وليد اليوم، وإنما يعود لسنوات ماضية مثلما يأتي ضمن استراتيجية أمريكية محددة لدعم وتنشيط التيارات الإسلامية الجديدة في أمريكا والمناوئة للمنظمات الإسلامية المحافظة على جوهر الدين الإسلامي الحنيف بشرائعه وتعاليمه الغراء، التي تنأى عن التحريف والشطط وتسمو عن كل زيف أو بدع، حيث عمدت السلطات الأمريكية منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م إلى "محاصرة الإسلام الأمريكي المحافظ" من خلال دعم تأسيس المنظمات الإسلامية الموغلة في العلمانية والتطرف، والتي تتبنى أفكارًا دخيلة على الشريعة مثل إباحة الإجهاض، وزواج المثليين جنسيًّا، والعلاقات الجنسية غير المشروعة، ومساواة الرجل بالمرأة في كل شيء، بما في ذلك الإمامة في الصلاة للرجال والنساء. ومن أبرز تلك المنظمات والحركات منظمة «صحوة الإسلام» و«جولة حرية المرأة»، و «اتحاد المسلمين التقدميين بأمريكا الشمالية»، وهي منظمات منحتها السلطات الأمريكية تراخيص التأسيس وتصاريح مزاولة النشاط مقدمًا فيما درجت على التفنن في عرقلة نشاط المنظمات والجمعيات الإسلامية المحافظة، وتشديد الرقابة والقيود عليها، خصوصًا في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

> عمدت السلطات الأمريكية منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م إلى محاصرة "الإسلام الأمريكي المحافظ"، من خلال دعم تأسيس المنظمات الإسلامية الموغلة في العلمانية والتطرف.

- **وفاء سلطان**: وهي طبيبة نفسية أمريكية مسلمة من أصل سوري، تؤمن إيمانًا مطلقًا بأن الواقع المأساوي الذي وصل إليه المسلمون يتطلب إعادة تأهيل الإنسان المسلم عقليًّا وفكريًّا وتربويًّا وأخلاقيًّا، بعد أن ارتأت أن الإسلام دين يفرز الإرهاب واضطهاد المرأة. وتجد وفاء سلطان دعمًا من الإدارة الأمريكية حتى إن مجلة «تايم» الأمريكية اختارتها من بين أكثر مائة شخصية هي الأكثر تأثيرًا في العالم جنبًا إلى جنب مع نوني درويش، وعمرو خالد.

- **نوني درويش**: وهي أمريكية من أصل مصري، والدها «مصطفى حافظ» كان أحد قيادات الفدائيين المصريين، وقتلَته قوات الغزو الإسرائيلي في حرب ١٩٥٦م، غير أنها تسامحت في دم والدها، وأعلنت تأييدها لليهود والإسرائيليين، وأسست جمعية «عرب من أجل إسرائيل»؛ ردًّا على فكرة «إسرائيليون من أجل فلسطين»، كما ألفت كتاب «الآن يدعونني بالكافرة: لماذا رفضت الجهاد لأمريكا وإسرائيل والحرب على الإرهاب». وهي تدافع عن إسرائيل واليهود في مواجهة ما تعتبره إرهابًا من قِبَل العرب والمسلمين، وتجد نوني دعمًا من قبل السلطات الأمريكية واللوبي الصهيوني في أمريكا.(٦)

وإضافة إلى تلك الأسماء، هناك أسماء أخرى عديدة من بينها كمال نعواش وهو أمريكي مسلم من أصول فلسطينية أسس «ائتلاف المسلمين الأحرار ضد الإرهاب» في واشنطن من أجل مقاومة الإرهاب، ومساندة الجهود التي تبذلها الإدارة الأمريكية على ذلك الصعيد. وهو يرى أن ٥٠٪ من المسلمين متطرفون وفاشيون، واتهم المنظمات الإسلامية المعروفة في أمريكا بالتحيز للإسلام الراديكالي. كذلك هناك زهدي جاسر، الذي أسس «المنبر الأمريكي الإسلامي للدفاع عن الديمقراطية».

وكذلك، يدعم الغرب التوجهات والمنظمات الإلحادية كالاتحاد الدولي للادينيين، والذي يضم ٨٥ منظمة لا دينية فرعية في ٣٥ دولة حول العالم يهدفون إلى مناهضة سطوة الأديان على الليبرالية والحريات الفردية وينادون بالعودة إلى الفلسفة الإنسانية، وقد دخل فيه مسلمون مرتدون من أصول إيرانية وعربية، ويدَّعُون أنهم ينادون إلى تحرير الإسلام من إسار السياسة ودعم الحريات الفردية بما فيها حق الاعتقاد. وفى ألمانيا أنشأت مجموعة من المرتدين عن الإسلام من أصول عربية وإيرانية ما يسمى «المجلس الأعلى للمسلمين السابقين في ألمانيا»، والذي تترأسه الإيرانية مينا عهدي الناشطة في مجال حقوق الإنسان وحقوق المرأة، ويهدف إلى التصدي للهيئات الإسلامية. وفى ذات السياق، كشف باحث أمريكي اسمه جيم

(٦) طلعت رميح، الليبراليون العرب الجدد.. أداة الاستراتيجية الأمريكية لعودة الاحتلال، سلسلة استراتيجيات، عدد أكتوبر ٢٠٠٥م.

لوب الستار عن إنشاء الكاتب الأمريكي المتطرف دانيال بايبس، المعروف بعدائه للإسلام ومساندته لإسرائيل، معهدًا إسلاميًا تقدميًا يمثل أصوات المسلمين الليبراليين في الولايات المتحدة باسم «مركز التعددية الإسلامية» بغرض تشجيع الإسلام المعتدل في الولايات المتحدة والعالم، ومحاربة نفوذ الإسلام المسلح والوهابي المتطرف من خلال وسائل الإعلام، وبالتعاون مع المنظمات الحكومية الأمريكية. ويسعى بايبس لإنشاء مؤسسة أخرى مهمتها مناهضة أنشطة الإسلاميين في الولايات المتحدة. وهدفها الحقيقي هو محاربة الجهود التي تبذلها المنظمات الإسلامية الأمريكية التي يعتبرها تمثل الإسلام الراديكالي.(٧)

ويُظهر دعم الغرب للملحدين والمرتدين من المسلمين تناقضًا فجًا في التعاطي الغربي مع الإسلام والمسلمين، ففي الوقت الذي يضطهدهم ويقيد حرياتهم ولا يعترف بهم لا لشيء سوى أنهم مسلمون، تجده يقدم الدعم والمساندة والحماية للمرتدين من المسلمين، أو من يهاجمون الإسلام والمسلمين، ويستخدمهم كحراب يقاتل بها الإسلام والمسلمين، وذلك بذريعة حرية العقيدة وحرية التعبير، وبزعم تحديث الإسلام وعصرنته.(٨)

ولم تقتصر مساعي الغرب لتغيير الإسلام والمسلمين على استخدام مسلمين في الغرب فقط، وإنما امتدت لتجنيد عناصر مسلمة موجودة في البلاد العربية والمسلمة على المستويين الرسمي وغير الرسمي، حيث اعتمد الغرب على نماذج مسلمة علمانية متغربة داخل النخب السياسية والفكرية، كما تميل أيضًا إلى تجنيد عناصر مسلمة تدعي الاعتدال والتسامح مع المسلمين، والتعايش مع غير المسلمين، كبعض الدعاة الجدد مثل عمرو خالد، الذي أكد في مناسبات عديدة أن الخطاب الديني الإسلامي يعاني مشكلات كثيرة، ويحتاج للتطوير والتجديد؛ لأنه خطاب غير مناسب للعصر ولا للشباب المسلم هذه الأيام، وكمكافأة له، وضعته مجلة «تايم» الأمريكية ضمن قائمة أكثر مائة شخصية تأثيرًا حول العالم، وبدوره أعلن أنه لا يمانع مصافحة وزير خارجية إسرائيل خلال حفل التكريم المُعَدّ لهذا الغرض.(٩)

وكان الهدف الأكبر -وما يزال- من وراء هذه التحركات المحمومة والمتنوعة والواسعة النطاق هو إحداث تغيير جذري حاسم في البنية الفكرية العامة للإسلام عقيدة وشريعة وممارسة بما يوقعه في براثن ثنائية العلمنة والتغريب؛(١٠) ما يساعد بعد ذلك على تأسيس مذهب إسلامي تقدمي جديد على الطريقة الغربية؛ يتضمن قيمًا ومبادئ أقرب ما تكون للمذهب البروتستانتي المسيحي المغْرِق في العلمانية والمادية عبر حركة إصلاح ديني داخل الإسلام؛ بغية جعله أكثر مادية وأميل إلى الإلحاد منه إلى الإيمان والتوحيد. ولا مانع من إشعال الفتنة بين المسلمين لتنزلق الأمة الإسلامية إلى أتون مشتعل من الحروب الدينية على غرار تلك التي أطبقت على المسيحيين في أوروبا في العصور الوسطى.(١١)

مزاعم تجديد الخطاب الديني:

انطلقت الدعوة الغربية لتجديد الخطاب الديني الإسلامي لتكون الذراع الداخلي للتحرك الخارجي ضد الإسلام والمسلمين، ومن هنا جاء غموضها وإبهامها وعدم وضوحها المتعمد. فقد خرجت هذه الدعوة معيبة بسبب المناخ الذي أُطلقت فيه ومصدر وأسلوب طرحها. والأدهى من ذلك أن عملية كتلك أُوكلت للعلمانيين وغير الثقات ممن ينتسبون بشكل واهٍ للعلم الديني، مما يكمل دائرة الشر في مرمى وسياق هذه الدعوة ويفقدها التأييد والمصداقية.

وقد تواكب صدور هذه الدعوة مع تحرك غربي جارف لفرض ما أُسمي بالإصلاح أو التطوير الديني على المسلمين والإسلام؛ كوسيلة مزعومة لعلاج التطرف والإرهاب، اللذين نجح الغرب في وصم المسلمين بهما، إثر مناهج التعليم الديني الخاطئة ومفاهيم الدعوة والفكر المعوجة. لذا شرع الغرب في إصدار التوجيهات

(٧) تحقيق بمجلة الأهرام العربي، ٢٤مارس ٢٠٠٧م.
(٨) انظر مقالة بايبس بصحيفة ذي نيويورك صن، ٢٠٠٤/١١/٢٤م.

(٩) محمد إبراهيم مبروك، عمرو خالد وصناعة نموذج الإسلام الأمريكاني، وكالة الأخبار الإسلامية، ٢٠٠٧/١١/٢٥م.
(١٠) معتز الخطيب، المشروع الأمريكي لتحديث الإسلام، موقع إسلام أون لاين، ٢٠٠٤/٢/٢٣م.
(١١) بشير عبد الفتاح، العالم الإسلامي ..عوامل النهضة وآفاق البناء، تقرير البيان الاستراتيجي الارتيادي السنوي، ٢٠٠٧م، ص٥١٦-٥١٨.

الصارمة لأنظمة إسلامية بتقويض التعليم الديني، أو ضمه إلى نظام التعليم غير الديني، أو فرض مناهج هذا الأخير بدلاً من المناهج الدينية. وتأتي الهجمة على نظام التعليم الديني الإسلامي بمناهجه ومحتواه وأهدافه ضمن استراتيجية الغرب لتغيير عقل المسلمين وبنية الإسلام نفسه، باعتبار ذلك النظام الوسيلة التي يتواصل بها الدين، وينتقل عبر الأجيال، والأداة التي توجه الدعوة الإسلامية وترسخ لهذا الدين في بنية المجتمعات الثقافية والفكرية والشعورية.

وترافق مع تلك الهجمة طرح غربي آخر يدعو إلى فرض نماذج «للإسلام الإصلاحي» على البلدان الإسلامية، اقتداء بالتجربة التركية الأتاتوركية التي ابتدعت «الإسلام العصري العلماني»، الذي يراه الغرب النموذج الوحيد الصالح الآن لإعماله في البلاد الإسلامية؛ بغرض نقلها من التخلف إلى الحداثة، وإدماجها في العولمة، وإنقاذها بالطبع من التطرف والإرهاب. كما طرحت التجربة التونسية العلمانية ممثلة ليس فقط في ممارسات الحكومات التونسية ضد أوضاع الإسلام التعليمية والاجتماعية على مدى العقود الماضية، وإنما كذلك بكتابات بعض الكتاب التونسيين المتفرنسين التي أصبحت في السنوات الأخيرة توصف بالإسلام التقدمي، وتُرَوَّج على اعتبار أنها الوسيلة المضمونة لعلمنة وتغريب الإسلام تحت مسمى إصلاحه وعصرنته.[١٢]

ادعاء تطوير المؤسسات الدينية الإسلامية:

لما كانت المؤسسات الدينية والمعاهد الشرعية والزوايا الصوفية العلمية والمدارس القرآنية في العالم الإسلامي تكتسب أهمية خاصة كرافد من روافد تعليم الأمة وتوجيهها دينيًا، فقد أولى الغرب أهمية بالغة للنيل منها؛ لأنه يرى فيها بؤرًا لإعداد الإرهابيين والرافضين للغرب، لذا عمد إلى أن يكون لهذه المؤسسات النصيب الأوفى من عملية التغيير. وقد بدأ الاهتمام بتغيير المدارس الشرعية بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م فظهرت حملة قوية لغلق أو تحويل المدارس الإسلامية، ولقد تم في اليمن وحدها غلق أزيد من ٤٠٠ معهد ديني، وفي باكستان تلقت الدولة مساعدة مالية تقدر بـ١٠٠ مليون دولار لإغلاق أكبر عدد من المدارس الدينية، وإطلاق برنامج رقابة على كل المعاهد الشرعية، التي يقدر عددها بسبعة آلاف، تُتَّهم بأنها أخرجت الطالبان، وتم إشراك وزارتي الداخلية والشئون الدينية في متابعة البرنامج والعمل على إدراج وإدماج مواد دراسية أخرى تحمل ثقافة غربية، ويسعى البرنامج في المدى الطويل إلى إدماج المدارس الشرعية في المدارس المدنية.

ويتوقع الخبراء أن ينتقل هذا النهج الغربي إلى الأزهر الشريف، ولن يستهدف التغيير مواقفه فقط، بل سيتعداها إلى إحداث تعديلات على بنيته وسياساته والمنهجية الفكرية التي يتبعها عبر تقطيع جذور هذه المؤسسة الدينية العريقة وإدخال تعديلات على المضامين الدراسية بها ليعاد تكييفها مع التعليم المدني، وبعدها يدرج الجامع الأزهر في إطار التعليم العام، ويبقى الأزهر جامعًا للصلاة فقط. وسيطال الأمر باقي المساجد أيضًا، حيث يتم إعطاء توجيهات إلى المشرفين عليها بتقويم الخطب داخلها، وإزالة كل ما يحرض المسلمين على عداوة الغرب ويغرس فيهم الكراهية، وتقييد الخطاب المسجدي بالخطاب الرسمي للدولة، وإيقاف كل من يتجرأ على إثارة المعارضة للدول الأجنبية خاصة أمريكا. وفي هذا السياق، قام معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط، وهو معهد أنشئ عام ١٩٩٨م بهدف تنمية الحوار حول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، بتحليل خطب المساجد في كل من السعودية والكويت وقطر واليمن، فتراءى له أنها تغذي الإرهاب واللاسامية دونما رقابة رسمية، فأوصى بضرورة وضع برنامج للتغيير في هذه المساجد يقصر وظيفتها على الجانب الروحي التعبدي فقط، وسحبها من ساحة الفعل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهي الخطة المسماة «تجفيف البويضة»، أي الحرب على الفكر والأسس العقدية لكسر ممانعة العالم الإسلامي للتغيير القادم من الغرب. ويجري الآن في عدد من الدول الإسلامية تدريب الأئمة والخطباء ورجال الدين على الاعتدال والتسامح حيال الغرب ضمن مشروع

(١٢) معتز الخطيب، تجديد الخطاب الديني في الزمن الأمريكي، موقع إسلام أون لاين، ٢٣/٢/٢٠٠٤م.

غربي أعد لهذا الغرض.[١٣]

الحرب على الحديث الشريف:

لما كانت محاولات تشويه القرآن الكريم وتحريفه والطعن فيه لا تلقى استجابة لدى غالبية المسلمين؛ بسبب الإيمان القاطع لدى كل مسلم بأن مُنَزِّل الكتاب قد تكفَّل بحفظه، فقد عمد المخطط الغربي إلى التركيز على المناوشة حول تفسير بعض الآيات؛ ولما لم يجد ذلك محققًّا لأهدافه فقد عرج إلى وضع مخطط للنيل من مصداقية وأهمية الحديث النبوي الشريف، معتمدًا في ذلك على الأميَّة المتفشية في أوساط المسلمين وعدم وعي الكثير من المسلمين بقضايا الحديث النبوي.

ومن ذلك على سبيل المثال، المساعي الممقوتة لضرب مصداقية الإمام البخاري فيما جمعه من أحاديث؛ حيث تشير المزاعم الغربية إلى «أنه جمع ٦٠٠,٠٠٠ حديث، واستبعدها كلها ما عدا ٧٦٠٠ حديث، وألقى بعضها للتكرار ليبقى منها حوالى ٤٠٠٠ حديث»، ومن ثَم يشكك المتربصون بالحديث النبوي في صدق روايات الإمام البخاري مستندين إلى زعم مؤداه «إذا سمحنا بساعة واحدة لمعالجة كل حديث فإن العمل في هذه الأحاديث يستغرق حوالي ٧٠ عامًا دون توقف، وكل حديث يمكن أن يكون قد تم تتبعه منذ عهد النبي من خلال سلسلة تتكوَّن من ٦ أو ٧ أفراد من أجيال متعاقبة، فكيف يقال: إن البخاري أكمل هذا العمل في ١٦ عامًا؟

وهناك أيضًا تشكيك في روايات الصحابي أبي هريرة وغيره، وتشكيك في صدق أحاديث عديدة، مما لا يتسع المقام للتفصيل فيه؛ بغرض تقويض روافد الإسلام وأصوله.[١٤]

تخويف العالم من الإسلام:

كان من بين آليات حرب الأفكار الغربية ضد الإسلام والمسلمين، تخويف العالم منهما عبر الافتراء عليهما، ونعتهما بأسوأ الصفات حتى يصبح المسلمون محاصرين بضغوط فكرية ونفسية هائلة تجعلهم دومًا في موقف دفاع عن النفس، ومن ثم يقعون فريسة سهلة لتأثير الأفكار والمبادئ الغربية الهادفة لاحتوائهم والنيل من الإسلام. ولقد انتشرت «فوبيا» الإسلام أو جنون الخطر الأخضر، أو إرهاب الإسلام، أو الفزع من المسلمين وكرههم في الولايات المتحدة وأوروبا منذ عقدين من الزمان؛ حيث أسهمت وسائل الإعلام الغربية عن قصد في تأجيج مشاعر التوجس عند الغربيين بأن الإسلام السني لا يستطيع أن يتعايش مع غيره من الأديان والثقافات، وركزت آلة الدعاية الغربية على تصوير الإسلام بأنه دين متحجر، ويتسم بالوحشية والقسوة.

> من بين آليات حرب الأفكار الغربية ضد الإسلام والمسلمين: تخويف العالم منهما؛ عبر الافتراء عليهما، ونعتهما بأسوأ الصفات.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، كان من الطبيعي أن تنشأ وتزدهر ظاهرة «الإسلاموفوبيا» أو «الخوف من الإسلام»، وأن تتحول إلى صناعة رائجة لإنتاج وإعادة إنتاج التمييز ضد الإسلام والمسلمين في كل بلاد الغرب ليصبح التمييز ضدهم واحدة من سمات العصر؛ إذ أكد أحد تقارير منظمة هيومان رايتس ووتش أن حوادث الاعتداء على المسلمين، بل وعلى من يشتبه أنهم مسلمون، زادت بعد أحداث سبتمبر بنسبة ١٧٠٠٪. وفي التقرير الصادر عن اللجنة الرسمية، التي شكلت في بريطانيا من كبار المفكرين وأساتذة الجامعات ورجال الدين البريطانيين لدراسة الموقف من الإسلام والمسلمين عقب تفجيرات لندن الأخيرة، ورد أن الشائع في الثقافة الغربية أن الإسلام مصدر تهديد للدول والشعوب والحضارة الغربية والسلام العالمي، وأنه يماثل تهديد النازية والفاشية والشيوعية. ويؤكد التقرير أن الفكرة السائدة لدى الغرب هي أن الصراع ضد الإسلام قائم وحتمي، وأن العداء للإسلام وإنكار إسهامه في الحضارة الإنسانية حقيقة

---

(١٣) معتز الخطيب، المشروع الأمريكي لتحديث الإسلام، مرجع سبق ذكره.

(١٤) كمال حبيب، مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي تحت القصف الأمريكي، موقع ندوة البيان الإلكتروني، بدون تاريخ.

في الثقافة الغربية المعاصرة، لا يمكن إنكارها أو تجاهلها.[15]

ويعتمد مروجو «الإسلاموفوبيا» في الغرب على تخويف شعوبه من عواقب انتشار الإسلام هناك، حيث تناقلت وسائل الإعلام يومي ٢٦ و٢٠٠٧/٧/٢٧م ما صدر عن جورج جينزفاين، السكرتير الشخصي لبابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر، من تصريحات حذَّر خلالها من العواقب الوخيمة لانتشار الإسلام في الغرب. وهناك دوائر غربية رسمية ودينية تفتعل «الإسلاموفوبيا» وتغذيها بغية استثمارها سياسيًّا. فالخوف المرضي من الإسلام لم يعد مجرّد خوف تلقائي لأسباب تاريخية وثقافية، بل أصبح يُصنع صنعًا، ليُستخدم في تحقيق أغراض محددة أبرزَها المفكر السياسي الفرنسي «فانسون جيسير»، الذي كان من الأوائل الذين استعملوا مصطلح «الإسلاموفوبيا» في فرنسا، حينما أكد أن مرض الخوف من الإسلام في الغرب قد تحول إلى سلاح انتخابي لا يستخدم من قبل اليمين المتطرف فحسب؛ بل من الأحزاب اليمينية عامة، وهذا الخوف يعود من وجهة نظره إلى أن الإسلام أصبح أكثر حضورًا في الحياة العامة بكل بلاد الغرب، وهو ما يُحدِث قلقًا متناميًا في أوساط المتمسكين بهوية أوروبا علمانية كانت أم مسيحية.

ففي الانتخابات التي شهدتها دول أوروبية عديدة مؤخرًا كفرنسا وألمانيا والدانمارك، تنافس المسئولون والمرشحون البرلمانيون خلال حملاتهم الانتخابية في التحذير من مخاطر «إرهاب إسلامي»، بل والمطالبة بتعبئة «مسيحية» أوروبية في مواجهة ذلك «الخطر». وقد انتقل هذا التكتيك الانتخابي إلى الولايات المتحدة بعد أن أطلق مرشح الرئاسة الأمريكية الجمهوري توم تانكريدو -الذي كان قد هدد سابقًا بضرب مكة والمدينة- إعلانات تلفزيونية وإذاعية في إطار حملته الرئاسية للانتخابات المقررة في نوفمبر ٢٠٠٨م تحذر من أن سياسة بلاده الخاصة بالهجرة تجاه المسلمين يمكن أن تسبب هجمات على الأراضي الأمريكية، وذلك من خلال عرض شخص مسلم يقوم بتفجير مركز تجاري في الولايات المتحدة[16]

التمويه على الحرب الفكرية بمبادرات إيجابية:

وحرصًا منه على أن تؤتي مساعيه لتغيير الإسلام والمسلمين أُكُلها بما يخدم مصالحه، يحاول الغرب أن يواري تلك المساعي خلف ستار من المبادرات الإيجابية الشكلية، التي لا طائل من ورائها سوى تخدير المسلمين وتقويض عزائمهم عن التصدي لما يحاك ضدهم، فضلاً عن تحسين صورة الغرب عالميًّا، وتعزيز فكرة احترامه لخصوصيات الآخرين، وتمسكه بالدفاع عن قيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان وقبول الآخر.

من تلك المبادرات على سبيل المثال: منح بعض الدول الغربية بعض التسهيلات للمسلمين المقيمين فيها فيما يخص الاحتفال بالأعياد الدينية وممارسة بعض الشعائر، وكذا القرار الذي أصدره مجلس النواب الأمريكي، إبّان مأدبة إفطار رمضاني أقامها الرئيس الأمريكي في البيت الأبيض خلال شهر رمضان الماضي، والذي يعتبر الإسلام من أعظم الأديان السماوية التي عرفتها البشرية، ويؤكد على ضرورة دعم الصداقة مع المسلمين واحترامهم، ورفض كافة أشكال الكراهية والتعصب والعنف الموجهة ضدهم في أمريكا والعالم أجمع.[17]

كذلك، استضافت مدينة قرطبة الأسبانية في شهر أكتوبر الماضي ٢٠٠٧م وللمرة الأولى مؤتمرًا لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا حول ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وما تستتبعه من عدم تسامح وتمييز ضد المسلمين، وقد أوضح وزير الخارجية الأسباني أن المؤتمر يرمي إلى الاعتراف بحجم المشكلة، وتحليل جذورها وأشكالها، ووضع وسائل لمكافحتها[18]. ثم إقدام بعض رجال الدين المسيحي في أوروبا خلال شهر نوفمبر الماضي ٢٠٠٧م على دعوة رجال دين مسلمين إلى الحوار، واعتذارهم

(١٥) د. محمد يحيى، الفزَّاعة الإسلامية، وكالة الأخبار الإسلامية، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٧م.

(١٦) د.سعيد اللاوندي، الإسلاموفوبيا .. لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟، دار نهضة مصر، ٢٠٠٧م.

(١٧) قرار الكونجرس حول عظمة الإسلام، موقع الخارجية الأمريكية، أكتوبر ٢٠٠٧م.

(١٨) تقرير خبري عن مؤتمر الإسلاموفوبيا بقرطبة، موقع إسلام أون لاين، ٢٠٠٧/١٠/٨م.

أيضًا ولكن بشكل غير رسمي أو موثق للمسلمين عن الحروب الصليبية ضدهم.(١٩)

هذا في حين تشير التقارير الرسمية وغير الرسمية الأوروبية أن أسبانيا هي أقل الدول الغربية تسامحًا حيال الإسلام والمسلمين. وفي مايو ٢٠٠٧م عبَّرت لجنة مكافحة العنصرية وعدم التسامح في مجلس أوروبا عن قلقها من تفشي العنصرية ضد المسلمين في أوروبا، مؤكدة تنامي الأجواء العدائية ضد المسلمين في هذه البلدان، حيث يواجهون تمييزًا صارخًا في التعليم والوظائف والإسكان وغيرها، كما حذَّر تقرير صادر عن مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة من تنامي ظاهرة «الإسلاموفوبيا» والتمييز ضد المسلمين في الولايات المتحدة منذ أحداث ٢٠٠١/٩/١١م.(٢٠)

ثالثًا: تحديات أمام المخطط الغربي:

بالرغم من التدبير المحكم والدقيق والمكلف، الذي يحيط باستراتيجيات حرب الأفكار الغربية ضد الإسلام والمسلمين، إلا أنها تعاني من نقاط ضعف عديدة، ربما تقلص من فرص نجاحها، وتتمثل أبرز نقاط الضعف هذه في أن الغرب قد استلهم في حربه الفكرية ضد الإسلام والمسلمين تجربته السابقة والناجحة في الصراع الأيديولوجي مع ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي، واستحضر نفس الآليات والوسائل، متناسيًا أن المعركة هذه المرة تخص الدين والمعتقد لدى المسلمين، وهو أمر يتجاوز في أهميته ومركزيته لدى المسلمين قيمة ومكانة الأيديولوجية لدى السوفييت، وهو الأمر الذي يفسر الممانعة الهائلة والصلبة من جانب المسلمين للغزو الثقافي الأمريكي والغربي بعكس الاستجابة السريعة من قبل الشباب السوفييتي للأفكار الأمريكية التي تغلغلت في جنبات الكيان السوفييتي حتى أسقطته بغير مواجهات عسكرية مباشرة.

علاوة على ذلك، تعتمد استراتيجيات الغرب على نماذج عربية ومسلمة لا تحظى بثقة أو تقدير ملائمين في الأوساط العربية والإسلامية؛ ما يجعل فرص نجاحها في مهمتها وحشد تأييد الكثيرين لها ضئيلة جدًّا، ذلك أن أولئك المتغربين أو العلمانيين، أو حتى من يدَّعون أنهم مسلمون معتدلون مستنيرون، وكذا بعض المسئولين ورجال الدين المتعاطفين مع المشروع الغربي، يفتقدون لثقة غالبية العرب والمسلمين. وهو ما أشار إليه توماس فريدمان، حينما أكد استحالة انتصار الغرب في حربه الفكرية ضد الإسلام والمسلمين؛ بسبب تغييبه لأصوات قوى الاعتدال والوسطية، وعدم القدرة على فهم واستمالة الهوامش البسيطة في المجتمعات العربية المسلمة، وهي الشرائح أو الفئات التي يتوجب إشراكها في أي مشروع تواصلي لتذويب معاداتها كل ما هو أمريكي، وإنهاء عدم ثقتها في النماذج العربية والإسلامية التي تعتمد عليها الاستراتيجية الغربية.

وثمة دلائل عديدة على فشل الحرب الأمريكية الغربية ضد الإسلام والمسلمين برغم ما تتبناه من أساليب شيطانية، وما تتكبده من أموال طائلة وموارد وإمكانات هائلة، يتصدر تلك الدلائل: الانتشار المذهل للإسلام في الغرب منذ أحداث أيلول الأسود الأمريكي في العام ٢٠٠١م وحتى الآن، وما صاحبه من إقبال غربي على فهم الإسلام والقرآن. كذلك اعترف دونالد رامسفيلد، وزير الدفاع الأمريكي السابق في تصريح له يوم ١٦ فبراير ٢٠٠٦م، بأن أمريكا تخسر حربها الدعائية والفكرية ضد العالم الإسلامي، وطالب بإيجاد وسائل بديلة. كما أكد تقرير أعدَّته هيئة استشارية تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية في نوفمبر ٢٠٠٤م، أن أمريكا عجزت عن إقناع العالم الإسلامي باستراتيجيتها الدبلوماسية والعسكرية، وهو ما اعتبره التقرير خسارة لحرب الأفكار حيث رفعت تدخلات أمريكا في العديد من بقاع العالم الإسلامي أسهم القوى المناوئة لواشنطن.

وقد صرح مارك جنزبيرج السفير الأمريكي السابق في المغرب، وأحد الخبراء الأمريكيين المتخصصين في شئون الشرق الأوسط، بأن أمريكا تواجه هزيمة في حرب الأفكار؛ رغم ضخامة الإمكانات التي رصدتها لتلك الحرب، وأرجع تلك الهزيمة لسببين: الأول: أن الغرب ترك الساحة للمتشددين الإسلاميين ليزاحموه. والثاني: أن الغرب لم يساعد حلفاءه بالقدر الكافي في مواجهة هؤلاء المتشددين. ومؤخرًا، صدر

(١٩) تقرير إخباري في جريدة الخليج الإماراتية، ٢٠٠٧/١١/٢٨م.
(٢٠) تقرير إخباري عن التمييز ضد المسلمين في أوروبا، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٠٥/٣/٨م.

للبنتاجون تقرير اهتم بوضع تصور عن كيفية كسب حرب الأفكار ضد ما أسماه «الجماعات المعادية لأمريكا»، نصت خلاصته على ضرورة العمل على إحداث تحول في الاتصالات الاستراتيجية للولايات المتحدة، بعد أن بدأت تخسر معركة الأفكار، مؤكدًا على أن أساليب إدارة بوش كانت فاشلة في إدارة تلك الحرب بشِقَّيْها العسكري والفكري.(٢١)

رابعًا: المسلمون ومواجهة المخطط الغربي

لا يعني تعثر أو فشل الحرب الفكرية الغربية ضد الإسلام والمسلمين أن يقف العالم الإسلامي مكتوف الأيدي معتمدًا فقط على نصر الله لدينه وإتمامه لنوره ولو كره الكافرون، وإنما يتعين عليهم أن يتخذوا من ذلك حافزًا لعدم التقاعس عن الصمود والمواجهة، خصوصًا بعد أن تبين لهم أن كيد الشيطان كان ضعيفًا، مهما اجتمعت له من صور القوة المادية، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾.

وثمة وسائل عديدة يمكن من خلالها التصدي للمخطط الغربي الرامي لتغيير الإسلام من خلال حرب الأفكار، يتجلى أبرزها في تبني استراتيجية ثلاثية الأبعاد، يضطلع خلالها الفرد المسلم، والحكومات المسلمة، والمسلمون في بلاد الغرب كلٌّ بدوره.

فعلى الأفراد، التمسك بأصل الدين ووسطيته، وعدم الانسياق وراء الدعوات والأفكار الدخيلة على صحيح الإسلام، وتلقي الدين من المصادر الصحيحة من أهل العلم والفقه، فضلاً عن الوعي بحقيقة المخطط الغربي ضدهم. وعلى حكومات البلدان الإسلامية، أن تعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في حياة الأمة، ودعم الأخوة الإسلامية لتوحيد صفوفهم وتوعية عامة المسلمين وخاصتهم بحقيقة المخططات الغربية للنيل من الإسلام والمسلمين كيما يتوخوا الحذر والحيطة، ذلك أن مثل هذه التوعية سيكون لها مردود إيجابي في شحذ همم الأمة من أجل التصدي لتلك المخططات وإجهاضها. ويظل حريًّا بالدول المسلمة إقامة المشروع الحضاري الإسلامي، الذي تستعيد في ظله الأمة الإسلامية وحدتها وقوتها ونهضتها، وإسهامها البارز في الحضارة الإنسانية، وتقديم هذا المشروع إلى العالم كأداة لتحرير كل المستضعفين من السيطرة والاستغلال الغربي.

كذلك، يجدر بالدول الإسلامية مجتمعة العمل من أجل حماية أطراف الأمة الإسلامية ودعمها دينيًّا واقتصاديًّا بالتزامن مع حماية مركزها، لاسيما أن الأطراف ستكون الهدف المقبل للمخطط الغربي، كما أن حماية الأطراف هي حماية للمركز؛ فإذا صمدت الأطراف صمد بنيان الأمة، على الأنظمة الحاكمة أن تهرع نحو تصفية خلافاتها مع التيارات والحركات الإسلامية، بغرض توحيد صفوف الأمة في مواجهة حرب الأفكار الغربية، وسد الثغرات التي يمكن أن يخترق الغرب من خلالها أمة الإسلام، ذلك أن عدوان الغرب الفكري لن يكون فقط ضد التيار الإسلامي، وإنما سيشمل الدول التي تتعاطف بأي درجة مع الإسلام أو تتحرج من معاداته فعليًّا:(٢٢)

ولما كان البعد الفكري قد غدا هو الموجه لصراع الغرب وحربه ضد الإسلام والمسلمين، فستتعاظم أهمية الأداة الإعلامية في هذا الصراع، ومن ثَم أحسب أن الاضطلاع بالمهام الآنفة على الوجه المطلوب يحتاج إلى استراتيجية إعلامية إسلامية تساعد على بلورة خطاب إعلامي إسلامي موضوعي ومتوازن، يخدم مصالح المسلمين، وينبههم إلى ما يحيط بهم من تهديدات، ويتصدى للخطاب العدائي الغربي ويعيد للإنسان المسلم الثقة في ذاته، والاعتزاز بحضارته وثقافته، وينمي ولاءه للأمة وانتماءه لها، وذلك من خلال دعوته لما يلي:(٢٣)

- التحذير مما يقوم به الغرب من محاولات لاختراق المجتمعات الإسلامية بحجج ومزاعم مختلفة، والوقوف بحزم أمام هذه المحاولات، وحث الحكومات المسلمة على التوسع في التعليم الديني وتنشئة الأجيال المسلمة على الكتاب والسنّة، وأن يكون أي تطوير للمناهج التعليمية مرتكزًا على مصلحة الإسلام والمسلمين، وبمبادرة إسلامية مستقلة عن أي تأثير خارجي.

- إقامة صناعة إسلامية للإعلام والمعلومات؛ بما

(٢١) د.عبد العزيز كامل، حرب الأفكار بين بأس الأمريكيين وبأسهم، مجلة البيان، ٢٠٠٧/٧/١٧م.

(٢٢) د. باسم خفاجي، مرجع سبق ذكره.

(٢٣) د. سليمان صالح، كيف نواجه تحيز وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام؟، مفكرة الإسلام، بدون تاريخ.

يساعد على كسر السيطرة الغربية على تدفق الأنباء في العالم، من خلال إنشاء مراكز للبحوث والدراسات لرصد ما ينشر عن الإسلام والمسلمين، وإنشاء قنوات فضائية تخاطب الغرب والشرق بلغاتهم؛ من أجل إرساء قواعد للتفاهم المتبادل بين المسلمين وغيرهم، والرد على الحملات العدائية. فضلاً عن استثمار مثل هذه الأدوات الإعلامية الإسلامية في الدعوة ونشر الإسلام عالميًّا؛ لأن انتشار الإسلام في الغرب يشكل إجهاضًا لحرب الأفكار التي تشنها حكوماته ضد الإسلام والمسلمين، كما يفند مزاعم الغرب ضدهم.(٢٤)

- الدفع باتجاه انتشال الجمهور المسلم من مستنقع اليأس والإحباط والظن بانسداد آفاق المستقبل، وذلك بإشاعة التفاؤل الموضوعي بتسليط الأضواء على نقاط القوة في الواقع العربي والإسلامي كغنى موروث الأمة الحضاري، وقدرتها الفذة على الصمود، واستعصاء إرادتها على الاستلاب، واستعدادها غير المحدود للعطاء وتحمل أعباء المقاومة مهما كانت ثقيلة. وكذا استلهام العبرة من تاريخ الأمة الحافل على مدى قرون بالانتصارات والإنجازات.

أما المسلمون في بلاد الغرب، فحري بهم أن يتمسكوا بمبادئ الدين الحنيف ووسطيته، وأن ينسقوا فيما بينهم، ولا ينجرفوا وراء الدعاوى المغرضة ويحرصوا على الاندماج في المجتمعات الغربية؛ شريطة عدم الذوبان فيها، والحفاظ على هويتهم الإسلامية. وحري بهم أيضًا مد جسور التواصل مع ذويهم في أوطانهم الأم، وتنسيق الجهود معهم من أجل توسيع دائرة الإسلام والمسلمين حول العالم والتصدي لحملات العداء ضدهم.

وأخيرًا، يمكن القول: إن حرب الأفكار الغربية ضد الإسلام والمسلمين قد أحيت الغيرة والحمية لدى الأمة، وأصبح عامة المسلمين يتطلعون إلى الذود عن دينهم، غير أن أي تحرك إسلامي على هذا الدرب يجب أن يبنى على «فقه النصرة»؛ حتى لا تصبح نصرة الإسلام مجرد شعار عاطفي، أو دثار خارجي، لا تأثير له في الواقع، أو ردة فعل متهورة تضر بالإسلام والمسلمين، وهنا يبرز دور العلماء وروّاد الصحوة وصناع التغيير في الأمة؛ لترشيد الرؤى وتنوير الطريق.(٢٥)

(٢٤) عبد الهادي الزبدي، هل يرفع الإعلام الإسلامي الإثم عن الأمة، الرابطة الإسلامية للإعلام، ٢٠٠٧/٩/١٥م.

(٢٥) من كلمة الشيخ أحمد الصويان بمؤتمر «تعظيم حرمات الإسلام»، الكويت، ٢٠٠٧/١/١٢م، موقع الإسلام اليوم، ٢٠٠٧/١/١٣م.



معلومات إضافية

مؤسسة راند:

هي أكبر مركز فكري في العالم، مقرها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، تقوم مؤسسة راند -التي اشتق اسمها من اختصار كلمتي «الأبحاث والتطوير» أي (Development and Research)- بجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، ومن ثم تحليلها وإعداد التقارير والأبحاث التي تركز على قضايا الأمن القومي الأمريكي في الداخل والخارج. يعمل في المؤسسة ما يقارب ١٦٠٠ باحث وموظف يحمل غالبيتهم شهادات أكاديمية عالية، وميزانيتها السنوية تتراوح بين ١٠٠ – ١٥٠ مليون دولار أمريكي.

تعتبر مؤسسة راند إحدى المؤسسات الفكرية المؤثرة بشكل كبير على المؤسسة الحاكمة في أمريكا، وهي تدعم توجهات التيار المتشدد في وزارة الدفاع، وتتولى الوزارة دعم كثير من مشروعاتها وتمويلها، كما ترتبط بعلاقات ومشروعات بحثية مع وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وتصب كثير من الدراسات والبحوث الصادرة عن هذه المؤسسة في خانة أنصار مواجهة الإسلام والمسلمين.

ساهمت مؤسسة راند في رسم خطة الحرب الأخيرة على الإرهاب، وتقدمت بدراسة لوزارة الدفاع تقترح فيها ضرب المملكة العربية السعودية واعتبارها العدو الأول في العالم، كما أن فرع المؤسسة في قطر تعمل فيه الباحثة شيريل بيرنارد زوجة مهندس الحرب على أفغانستان «زلماي خليل زاده»، وهي التي قامت بكتابة مشروع الإسلام الديمقراطي، وهو ما عُرف لاحقًا باسم «تقرير راند»، ويعتبر فرع راند في المنطقة العربية بقطر مركزًا مهمًا للمساهمة في إعادة تشكيل المنطقة وفق الرؤية التي تطرحها الإدارة الأمريكية.

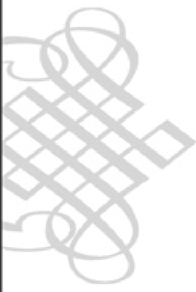
تقرير راند ٢٠٠٧م :

أصدرت مؤسسة راند تقريرًا في نهاية شهر مارس من عام ٢٠٠٧م بعنوان «بناء شبكات مسلمة معتدلة»، وهو تقرير متمم لسلسلة التقارير التي بدأ هذا المركز الفكري في إصدارها لتحديد الأطر الفكرية للمواجهة مع العالم الإسلامي في الفترة التي أعقبت أحداث سبتمبر.

يقدم التقرير توصيات محددة وعملية للحكومة الأمريكية بأن تعتمد على الخبرات التي اكتُسبت أثناء الحرب الباردة في مواجهة المد الفكري الشيوعي، وأن تستفيد من تلك الخبرات في مواجهة التيار الإسلامي المعاصر عن طريق دعم قيام شبكات وجماعات تمثل التيار العلماني والليبرالي والعصراني في العالم الإسلامي، لكي تتصدى تلك الشبكات والجماعات لأفكار وأطروحات التيارات الإسلامية التي يصنفها التقرير بالمجمل على أنها تيارات متطرفة. كما يؤكد التقرير على الحاجة لأن يكون مفهوم الاعتدال ومواصفاته مفهومًا أمريكيًا غربيًا، وليس مفهومًا إسلاميًا.

تركز تقارير مؤسسة راند، وخاصة تقريرها الأخير في عام ٢٠٠٧م، على فكرة المواجهة مع التيار الإسلامي بالعموم من أجل تهميش دوره واحتواء تأثيره، وأحيانًا تميل هذه التقارير إلى الإشارة إلى القضاء





على بعض عناصر هذا التيار ومكوناته، وخاصة تلك العناصر التي تستخدم الخيارات العسكرية في التعامل مع الاعتداءات الأمريكية والغربية على العالم الإسلامي، كما أن تقارير مؤسسة راند ترسخ باستمرار فكرة الفوائد التي يمكن أن تجنيها الاستراتيجية الأمريكية من إشعال الصراعات داخل العالم الإسلامي وتقسيمه، وكذلك فوائد تقسيم شعوب المنطقة إلى: معتدلين في مواجهة متطرفين، وتقليديين في مواجهة عصرانيين أو أنصار الحداثة، وشيعة في مواجهة سُنة، وعلمانيين في مواجهة مسلمين، وعرب في مواجهة غير العرب، وغير ذلك من التقسيمات التي تسعى إلى شق وحدة الأمة في مواجهة الهيمنة الأمريكية والتدخل في شئون دول المنطقة من قبل بعض دول الغرب.

أعد تقرير راند مارس ٢٠٠٧م مجموعة من الخبراء الأمريكيين العاملين بالمركز، ومن أبرزهم أنجل راباسا وهو باحث أكاديمي عمل سابقًا في عدد من المناصب المهمة في كل من وزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الدفاع، وهو حاصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد الأمريكية، كما شاركت في إعداد التقرير الباحثة الأمريكية شيريل بينارد -التي ذُكرت سابقًا- والتي عرفت من خلال تقرير راند لعام ٢٠٠٥م حول الإسلام الديمقراطي المدني، وهى تعمل ضمن فريق مؤسسة راند في العالم العربي «دولة قطر»، ولها مواقف وآراء سلبية تجاه الإسلام.

قيمة التقرير من الناحية الاستراتيجية

يكشف تقرير راند عن تحولات ملموسة ومتصاعدة في الحدة فيما يتعلق بالرؤية الفكرية الأمريكية حول التعامل مع الإسلام، وكذلك مع العالم المسلم، ورغم أن التقرير يقدم مقترحات، ولا يُملي أو يقرر سياسات بعينها لصانع القرار الأمريكي؛ إلا أن هناك العديد من العوامل التي تجعل لهذا التقرير قيمة مهمة مثل الجهد العلمي والبحثي المبذول في هذا التقرير الذي استغرق ثلاثة أعوام للانتهاء منه، وقوة أفكار التقرير وسهولة تحويلها إلى برامج عملية، كما أنه من المعروف أن هناك مساندة فكرية قوية لأفكار مؤسسة راند داخل مؤسسة السياسة الأمريكية بصفة عامة، والإدارة الأمريكية على وجه الخصوص.

المصدر:

د. باسم خفاجي، استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، قراءة في تقرير مؤسسة راند ٢٠٠٧م،

العدد الرابع من سلسلة «رؤى معاصرة»، الصادرة عن المركز العربي للدراسات الإنسانية، مايو ٢٠٠٧م.

